(اللنكات) من الجواريب الى السيـــــارة

بغداد / صافي الياسري
تصوير: سمير هادي

البالة كنز الفقير

فيما مضى كنا ندعوها ملابس الـ (فراد) وفي الخمسينيات واوائل الستينيات كانت توزع على طلبة المدارس، وكنا نشمئز منها، ولكن المقاولين كانوا نشيطين في محاولات اقناعنا بارتدائها وبخاصة في ايام الشتاء قارسة البرد، لكن اشاعة صغيرة حول ان هذه الملابس هي ملابس جمعت من قبل الجمعيات الخيرية الاوربية من المستشفيات والبيوت والمحال (الستوك) وانها تخص مرضى او موتى جعلتنا نطرح بها على الرصيف او نجعلها ممسحة لارضية الدار. مع الظروف المريرة التي شهدها العراق في اوائل التسعينيات صارت محط انظار العراقيين والعراقيات ربما كان للظرف الاقتصادي العراقي دور، وربما كان لسايكولوجية المرحلة دورها، فان اسعار (البالات) كما تدعى اليوم لاتقل كثيراً عن اسعار الملابس الجاهزة، فسعر الجوارب على سبيل المثال ٢٥٠ ديناراً بينما سعره جديداً ٥٠٠ دينار وليس هذا بالفرق الكبير وان كان ٥٠ ٪ من قيمة الجديد.

تنوعت البالات في اسواق بغداد، حتى لم يعد هناك شيء لا يمكن للبالة ان تقدمه - غرف النوم - الاجهزة الكهربائية - الموبايل - بردات الشبابيك - السيارات، ولا تستغرب عزيزي القارئ ان بعض العراقيين صار يشتري حتى ملابسه الداخلية من البالات! من دون ان يرف له جفن، ودون خوف او حذر في ظل غياب القانون والرقابة الصحية.

قد نتجاوز بعض الاستخدامات كما في السيارات، لكننا بحاجة الى من يطمئننا حول استخدامنا المستعمل من الملابس وبخاصة الملابس الداخلية كما اشرنا، والملابس اليوم هي الاكثر جذباً بسبب من اشتداد البرد ولها مواسمها التي تبدأ مع بداية الموسم الدراسي وتكاد لاتنتهي بانتهاء الامتحانات النهائية في اواخر حزيران من كل عام حيث يبدأ الموسم الصيفي للبالة، ولم يعد البغدادي مهتماً بمقولة كان يستخدمها الاجتماعيون في شتى المناطق العربية والاسلامية حول من يهتم بمظهره وملابسه فيقولون عنها (تبغدد)، فقد صار البغدادي يتبغدد "بالفراد" او (اللنكات) او (الستوك) او (البالة) متمثلاً حياة دعة من نوع اوروبي مستعمل. لتقفل على عقله ثقافة المستعمل. واللنكة او البالة كيس جنفاص مخيط بطريقة خاصة تحيط به قيود حديدية او قصديرية محكمة بفتحها المشتري الاخير، فهي موضع او محل شراء من جملة من المقاولين.

والتجار يتداولونها من واحد الى واحد حتى تصل الى صاحب المحل الصغير او صاحب العربة المتجولة، الذي يفتحها ويعزل منها ما هو جيد جداً ثم ما هو جيد ثم العادي، ولكل سعره، فالجيد جداً يذهب الى المكوى للغسيل والكي وربما بعض الجيد كذلك، اما العادي فيعرض بسعر واحد في العربة او المحل بينما تختلف اسعار البضاعة الجيدة جداً،

نشأت على هامش تجارة البالة وظائف اخرى، فالغسيل والكي والحمالية والباعة المتجولون الذين يفترشون الارصفة في اغلب الاحيان واهم اسواق بالة الملابس في بغداد هي اسواق الكاظمية تليها اسواق الباب الشرقي والبياع وبغداد الجديدة ومناطق اخرى بمستويات اقل.

يقول السيد محمد هاشم (الاسيوي) وهو تاجر بالات (جملة) في الكاظمية - انظر كل اصحاب هذه المحال هم من المتجاوزين استغلوا فرصة غياب القانون فجعلوا منطقة باب الدروازة في الكاظمية غابة من غابات البالات، والبالات ملابس تجمعها شركات متخصصة بالملابس المستعملة في اوربا وبعض بلدان جنوب شرق اسيا واستراليا وتركيا او دول مثل تايلند وماليزيا وسنغافورة حيث الاسواق المهمة للبالات التي يجتمع فيها تجار من الدول الفقيرة لشرائها باسعار رخيصة واعادة بيعها في اسواقهم المحلية.

ويؤكد السيد محمد ان موجة البالات في العراق هبت مع هبوب رياح الحصار الاقتصادي عام ٩١ لتنتشر في عموم اسواق العراق، ويقول .. لا ابالغ اذا قلت ان السوق العراقي هو المستهلك الاكبر للبالات في العالم لكن ظهور البالات في الدول المجاورة كان اقدم منه في العراق.

ويقول قاسم المالكي احد تجار البالات في شارع الكفاح (المورد الرئيس) في البداية لم يكن المبلغ المتداول في سوق البالات يتجاوز بضعة آلاف الاخر من الدولارات لكنه مع بداية التسعينيات او بعد منتصفها ارتفع الى قرابة ٧ ملايين دولار سنوياً وتطور الرقم في الالف الثالث الى اكثر من ٢٥ مليون دولار.

وقد فشلت وزارة الصحة التي ارادت عام ١٩٩٩ تحجيم هذه التجارة ويفيد تجار البالات ان تجارتهم انخفضت بنسبة ٥٥٪ تقريباً بعد سقوط النظام بسبب انفتاح الاستيراد وتوفر البضاعة الجديدة التنافسية في اسعارها، وان اسواق البالات اخذت بالتراجع، برغم ضعف كفاءة مناشئ البضائع المستوردة من سوريا ومصر وتايلند والصين.

وعلى سبيل المثال فان سعر قميص تركي او ماليزي او سوري يتراوح بين ٤ الاف الى ٨ الاف دينار بينما سعره من النوع الممتاز في البالة قد يصل الى ١٤ الف دينار، ويعلل الكثيرون انخفاض الاقبال الى البالات الى ارتفاع القوة الشرائية لدى العراقي وتوفر البديل المستورد الجديد.

البالة الاخطبوط

منذ عام ٢٠٠١ لم تعد البالة تقتصر على الملابس وحسب فقد دخلت (التلفزيونات - الفديوات - الكاميرات - المكيفات - الغسالات - الثلاجات - ادوات الانارة ... الخ) ثم قدمت بالة المواد المنزلية (سجاد، موكيت، بردات، مكاتب، غرف نوم، مراتب، ... الخ) وذلك النوع من البالات وجد نجاحاً عارما في الاعوام ٢٠٠١، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣، يقول سالم عبد الله النعيمي، انه اكتشف هذه التجارة مصادفة حين بعت ممتلكاتي في احدى دول الخليج الى مكاتب تشتري المواد المستعملة باسعار بخسة جداً وان اجهزة تلفزيون من نوع توشيبا مثلاً كانت تباع في بغداد بسعر يتراوح بين ٢٠٠ و ٣٠٠ دولار بينما يتم شراؤها من دول الخليج بسعر ٣٠ الى ٥٠ دولاراً الامر الذي دفعني الى استحصال الموافقات اللازمة لاستيرادها الى العراق. وقد توسعت التجارة امام التجار العراقيين الذين باتوا ينافسون التجار الهنود الذين يعملون في الخليج من امد طويل.

ومثل هذه البضائع واجهت في البداية صعوبات مع الكمارك و المكوس والرسوم والضرائب ما اضطرها الى ان تدخل مهربة عن طريق ايران وكردستان العراق، وتلك التجارة بدأت بالانحسار هي الاخرى عام ٢٠٠٢ عندما سمحت السلطان لشركات معروفة بافتتاح معارض لها في العراق لبيع الاجهزة الكهربائية الجديدة واصبحت الاسعار هنا ايضاً متقاربة نسبياً.

العراق محطة استعراض هائلة للمستعمل

سيارات .. موبايل .. احذية .. ملابس .. اجهزة كهربائية سكراب

المنيفيست

او السيارات المستعملة، وقد راجت بعد سقوط النظام، وهذا لا يعني ان هذه التجارة لم تكن موجودة لكنها كانت محاربة من قبل السلطات التي فرضت ضريبة على السيارات المستوردة الحديثة ٣٠٠ ٪ من قيمتها وهو رقم تعجيزي وغير عملي، بينما لو ناقشنا الموضوع من جانبه العملي لوجدنا ان السيارات القديمة كانت تستوردها من الادوات الاحتياطية ما يعادل اضعاف مبالغ واقيام السيارات الحديثة المستوردة الى العراق (المنيفيست) كما انها تستهلك مواد احتياطية اقل وكذلك وقوداً اقل ولكن عقلية ازلام النظام البائد لم تكن عقلية اقتصادية ومع ذلك فان للمنيفيست مشاكلها، وفي البداية كان استيراد المنيفيست فرديا ثم تحول الى صفقات كبيرة بعد ذلك استعان تجار السيارات المنيفيست بافكار زملائهم من تجار البالات فتحولت معارض السيارات الى بالات سيارات وتسمى الان (حاويا) وتحولت عربات نقل السيارات الى ما يسمى اليوم (الرمبة)

الرمبة

والرمبة حسب المفهوم الشعبي هي مرتفع ترابي تتم اقامته في ساحة عامة او تقاطع مروري او في شوارع رئيسة او فرعية تقف هذه الشاحنات المحملة بالسيارات لتفريغ حمولتها ويقف بقربها صاحب السيارات المستوردة والمشترون، فتتم عمليات الشراء بشكل مباشر وكيفي ومن دون فحص على طريقة شراء الملابس المستعملة من عربات البالات وقد يصيب المشتري هدفه بسيارة جيدة ورخيصة او يقع ضحية سيارات عاطلة تعاني المشاكل المتأزمة كما يقول الزميل مشرف عباس.

سكراب .. سكراب ... سكراب منطقة القصر الأبيض وسط العاصمة بغداد هي المنطقة الرائدة في تجارة بالات الادوات الاحتياطية المستعملة التي يتم استيرادها من سكراب السيارات في دول مختلفة من العالم في مقدمتها دول الخليج ويتم تفكيكها هنا لتصبح ادوات احتياطية لسيارات المنافيست.

تلك التجارة لم تقتصر على القصر الابيض وسوقها الشهير (سوق بغداد) بل تجاوزت ذلك الى معظم مناطق بغداد مثل حي الشعب وحي القاهرة والبياع وبغداد الجديدة وكمب سارة والاعظمية والكاظمية والدورة ومناطق اخرى تحولت باحاتها وارصفتها الى معرض هائل للسكراب بدهونه ومخلفاته واوساطه ومايعكسه من مشهد غير حضاري للمدينة في اجمل مناطقها وأنظفها.

والغريب ان تتحول مئات المحال التجارية التي كانت تبيع الادوات الاحتياطية الجديدة الى بيع السكراب بل ان السكراب بدأ يزحف ليبتلع محال بيع الاقمشة والمرطبات والمطاعم بغير ضابط ولا رقيب دون التزام باللوائح والقوانين المشرعة سابقاً والتي منعت استغلال المحال في المناطق التجارية والسكنية لاغراض صناعية او لتصليح السيارات او بيع السكراب وظهرت هذه المهن في الاحياء الصناعية المعروفة.

اما اسعار السكراب فتحدد على وفق الشروط الاتية:

١- شحتها في السوق فاذا لم تكن متوفرة في محال بيع الادوات الاحتياطية الجديدة او السكراب يرتفع سعرها اليالضعف او اكثر بينما يقل سعرها اذا كانت متوفرة.

٢- طريقة تفكيكها فاذا كانت صعبة في الاستخراج من المحرك او أي جزء اخر من السيارة يرتفع سعرها بينما ينخفض سعرها اذا كانت طريقة تفكيكها سهلة.

٣- صلاحيتها للعمل فالادوات التي تستخرج وهي بحالة جيدة تكون اسعارها اعلى من تلك التي استعملت لمدة طويلة وان عمرها الافتراضي في طريقه الى النهاية.

تلك الشروط ليست مقدسة وان كانت قياسية فاحياناً تباع بعض الادوات باسعار اعلى من قيمتها في السوق اذا كان المشتري متلهفا ومستعداً للدفع من دون ان يبحث في مواقع اخرى.

فلسفة استعمال المستعمل

كثرت التفسيرات عن سر الانصراف الى استعمال المستعمل وتفضيله في بعض الاحيان على الجديد، ترى ما فلسفة استعمال المستعمل؟

يقول الزميل مشرف عباس: إن ثقافة المستعمل انطلقت مع مطلع الثمانينيات عندما انطلقت الى الافق الاقتصادي العالمي صناعات استهلاكية رخيصة من الصين وتايوان وهونغ كونغ وماليزيا وسنغافورة وحالما جرب العالم تلك البضائع وادرك ان عمرها فقير وكفاءتها لا تقارن بالبضائع اليابانية والامريكية او الاوربية عادوا للبحث عن البضائع الاصلية حتى لوكانت مستعملة، فظهرت ثقافة تحترم المستعمل ذا العمر الطويل والكفاءة الجيدة ولا نعير اهتماماً للجديد حتى لو كان بعضه جيداً، وهذا بالضبط ما حصل في العراق وتضاعف خلال مرحلة التسعينيات ليشكل ظاهرة تجاوزت كل الحدود، دعمها .. وعمقها الوضع الاقتصادي الكارثي الذي شهده العراق في تلك المرحلة وادى الى انهيار قيمة العملة وتضاعف التضخم والازمات فضلاً على حالة الانقطاع عن العالم الخارجي التي فرضها الحصار الاقتصادي، لكن الاستقرار الاقتصادي وتوافد الشركات العالمية وانفتاح السوق العراقي سيقود الى انحسار هذه الظاهرة ففي النهاية لا يصح إلا الصحيح:

ونحن نرى ان ثقافة المستعمل تجري الهوينا هذه المرة الى جانب البضاعة الجديدة المستوردة وبخاصة بعد تقارب الاسعار بين السلعتين، ومع ذلك نجد في البحث في سوق المستعمل عن ماركة محددة للملابس والاكسسوارات والساعات والاجهزة الكهربائية، والمنزلية ثمة ثقة ليس منبعها السعر، وانما المتانة والاناقة والتجربة فالذين يذهبون الى المستعمل لديهم فكرة مسبقة انهم لن يخدعوا سعراً ولا نوعا كما انهم جربوا هذا المستعمل الذي لم يعد يميز الان عن الجديد اضف الى ذلك ان موديلات الجديد عادت الى القديم فتساوى بذلك الاثنان وبعض المستعمل سمي مستعملاً وحسب وهو لم يستعمل دائما هو بعض الموديلات التي تطرحها المحال التجارية او المعامل بعد ان فات وقتها وتدعى (ستوك) وعلى اية حال مهما كانت التسمية فالجوهر واحد والبالة (كنز الفقير) كما علق احد الظرفاء.

باقة ورد للطلبة

الزهرة والوردة ام المسدس والرشاشة ؟

أ.د محمد يونس

هالتني قبل ايام عيد الاضحى وبعدها ظاهرة انتشار لعب العنف بيد الاطفال بشكل طبيعي، وحتى انهم كانوا يتقاسمون الادوار: " نحن الحماية وانتم المهاجمون، انت تطلق المسدس من هنا وانا اطلق الرشاشة من هناك"

قصدت محلاً لبيع لعب الاطفال فرأيت الكم الهائل من العاب العنف، المجهولة المنشأ ولا تحمل مكان تصنيعها وعند السؤال عن السبب اجابني المالك انها البضاعة الرائجة حاليا والطلب عليها متواصل وارباحها كبيرة.

الكل يعرف ان ظاهرة العنف من اخطر الظواهر على الطفل والحدث، كما هي خطرة على المجتمع عامة. وقد زرع النظام البعثي المنهار هذه الظاهرة في نفسيات الاطفال والاحداث والشباب من خلال الروضة والمدرسة والجامعة ناهيك عن وسائل الاعلام. فالاناشيد تتغنى بالحرب والدماء ورفعة العلم مصحوبة باطلاق الرصاص والمناهج الدراسية لجميع المراحل تمجد القوة والقتل والاهازيج تنادى بالقسوة والتدمير. وكانت العائلة العراقية قد طحنها الخوف وخنقها العوز. فبقي الطفل والحدث والشاب غارقاً وسط لجنة الفوضى بلا توجيه ولا نوعية، فكان التخبط اولاً ثم الانحراف كليا نحو العنف من خلال اشبال صدام ومعسكرات التدريب والجيش الشعبي ومنظمات حزب البعث الفاشية.

> وتستقبل الجامعة الشاب ليتلقى فيها حب الشعب والوطن وخدمة المجتمع من خلال التحصيل العلمي.

المعلوم ان مثل تلك الاجواء العنيفة المتأزمة والمشاهد المتوترة تجعل الطفل لا يعي من الحياة غيرها وتدفعه الى محاكاتها وتبقى منطبعة في ذاكرته. لذلك نرى الان الحدث هو المنفذ لاعمال السلب والنهب والخطف والابتزاز وكذلك التفجير والتفخيخ تحت اشراف عصابات منظمة من عتاة الجريمة الداخلية والخارجية.

لذا يتوجب على الاسرة والمدرسة والمنظمات الاجتماعية وبالتنسيق مع الدولة ان تقف بوجه انتشار العاب العنف واقناع الطفل بالابتعاد عنها والاتجاه نحو العاب الانتاج والتطوير والتعمير. كذلك علينا منع العاب المتفجرات والالعاب النارية المقاربة للحقيقة برعبها وذويها وبخطرها الذي يتسبب في احتراق العديد من الاطفال سنوياً.

يبدأ المنطلق الصحيح من البيت والاسرة التي يتوجب عليها تربية طفلها تربية انسانية شريفة تزرع في نفسه الايمان والطيبة وحب الخير وياتي دور الروضة ليغرس في نفس الطفل نزعة التعاون والتفاؤل وحب الجمال فيرسم الزهرة والوردة والبيت الجميل وتبعد عن ذهنه صورة السيف والمدفع والدبابة. ثم تتلقف المدرسة الحدث فترضعه حب الخير الى جانب العلم وتسقيه رحيق الطمأنينة الى جانب الثقافة. وتستقبل الجامعة الشاب ليتلقى فيها حب الشعب والوطن وخدمة المجتمع من خلال التحصيل العلمي. وبذلك تتحقق المعادلة السليمة التي ينشدها المجتمع وتعمل الدولة على توطيدها وتطويرها.

منظمة رعاية وتأهيل الطفولة في الديوانية

برامج فنية واعمال درامية للارتقاء بواقع الطفل العراقي

الديوانية / باسم الشرقي

ساهمت منظمة رعاية وتأهيل الطفولة في دعم الطفولة ومساعدة الايتام في محافظة الديوانية بشكل فعال وقد قامت تلك المنظمة بانتاج مسرحية (رحلة سندباد) وبرنامج (حوار الطفولة) كما انها تعكف حاليا" على اكمال الفيلم الوثائقي (بقايا رماد) وهذه الاعمال تحاكي واقع الطفولة المرير في البلد .. وقد التقت جريدة (المدى) بمسؤولي المنظمة واجرت هذا الحوار معهم لغرض تسليط الضوء على عمل تلك المنظمة الفتية ..

مشاريع عديدة

السيدة(هند صلال) مديرة المنظمة قالت: أن منظمتنا تعنى بشؤون الطفل وقدمت العديد من الاعمال الخيرية وساهمت في تأهيل الطفولة في المحافظة وقد قامت منظمتنا بانتاج مسرحية (رحلة سندباد) التي تتكلم عن واقع الطفولة العراقية بين عهدين وقد ساهم هذا العمل بادخل البهجة والسرور الى نفوس اطفالنا وان هذا العمل هو دعم من منظمتنا للطفولة العراقية التي تعاني من هموم كثيرة واضافت ان المنظمة قد باشرت بعمل وانتاج برنامج تحت عنوان (حوار الطفولة) ويتألف من عشرين حلقة وهو الان في طريقه للانجاز حيث يتم تضييف مرب فاضل او شخصية اجتماعية لمناقشة واقع الطفل والوقوف على معاناته وتستمر تلك الحلقة اكثر من ساعة ومنظمتنا ستكون ساعية لخدمة الطفولة والمجتمع وفي افكارنا الكثير من المشاريع التي سنقوم بها قريبا"

مسرحية للاطفال

السيد(سعد مكي) مشرف منظمة رعاية وتأهيل الطفولة قال في الواقع منظمتنا احدى منظمات المجتمع المدني الفتية التي ساهمت في الارتقاء بواقع الطفولة المرير في عراقنا الحبيب وقامت بعدد من الانشطة التي تخص واقع الطفولة ودور الايتام وعلى صعيد الدراما قامت منظمتنا بانتاج مسرحية "رحلة سندباء" من اخراج المخرج المعروف سعد هدابي وتأليف السيد زهير هداد كما اننا نقوم بعمل برنامج (حوار الطفولة) كذلك نعمل على اكمال الفيلم الوثائقي (بقايا رماد) الذي تدور احداثه حول الحالة الماساوية ا لتي يعيشها الطفل العراقي وبعض العوائل الفقيرة في الديوانية وكذلك مأساة تعرض الاطفال العراقيين الى تشوهات الولادة والتي خلفتها الحروب والحصار الاقتصادي الذي تعرض له البلد .. كما قامت مديرة المنظمة بزيارة دور رعاية الايتام ومعهد الامل للطفولة ومعهد الرجاء واطلعت على واقعهما والوقوف على مشاكلهم ودعمهم من خلال مشاريعنا القادمة.. المخرج (سعد هدابي) الذي قام باخراج الفيلم الوثائقي (بقايا رماد) ومسرحية (رحلة سندباد) وبرنامج حوار الطفولة) قال في الحقيقة منظمة رعاية وتأهيل الطفولة كبيرة في افعالها واعمالها التي اثمرت عن اقامة تلك الاعمال الدرامية المتعلقة بواقع الطفل العراقي وقد نجحنا في تنفيذ تلك الاعمال بعدما قدمت لنا الرعاية والدعم الكامل من قبل تلك المنظمة .. وفي الواقع لقد ابكاني احد المشاهد التي قام بتأديتها احد الاطفال الموهوبين من ذوي الاحتياجات الخاصة في برنامج حوار الطفولة الذي اشرف عليه اساتذة في علوم النفس والاجتماع والتربية .. واعتقد ان الفيلم الوثائقي "بقايا رماد" ومسرحية "رحلة سندباد" وبرنامج "حوار الطفولة" سيكون لها صدى كبير لو تم عرضها في القنوات الفضائية المحلية او العربية او العالمية لانها تحاكي واقع الطفولة العراقي المؤلم بين حقبتين مختلفتين من الزمن..

الملحن (وليد الزبيدي) احد كوادر منظمة رعاية وتأهيل الطفولة قال ان منظمتنا وعلى الرغم من عمرها القصير الا انها استطاعت ان تساهم وبشكل فعال في دعم وتأهيل ورعاية الطفولة والايتام وستكون الايام القادمة اكثر فاعلية واداء في عمل منظمتنا .. السيد(علي ا لساهر) مدير ستديو وطن ومدير المونتاج في الاعمال التي انتجتها المنظمة قال: لقد استطاعت منظمة رعاية وتأهيل الطفولة اثبات جدارتها ودعمها الحقيقي للطفولة وقيامها بدعم دراما الطفولة .. فقد تم عرض هذه الاعمال كمشاريع وقمنا بتنفيذها بعد ان تلقينا الدعم والرعاية من قبل المنظمة التي وفرت لنا جميع الاجواء الصحية التي ساهمت بنجاح عملنا ونحن ساعون في الاستمرار باظهار واقع الطفولة المرير من خلال ستوديو وطن وبالتعاون مع جميع الجهات الاخرى التي تهتم بواقع الطفولة في العراق عبر الدراما والفنون الاخرى .. الفنان الصحفي(قيصر الوائلي) الذي شارك في الاعمال التي انتجتها المنظمة قال انها لتجربة جميلة اقدمت عليها منظمة رعاية الطفولة عندما قامت بانتاج تلك الاعمال المتخصصة بواقع الطفل العراقي وفي الحقيقة لقد حققت تلك التجارب الثلاث غايتها المنشودة ونأمل ان تواصل هذه المنظمة استمرارها في دعم دراما الطفل من اجل الارتقاء بواقع الطفل العراقي اسريا" وثقافيا " لان الطفل العراقي يعاني من الحرمان.